

## في الذكرى السادسة للانقلاب: كيف ابتلع الحوثيون اليمن

تراكمات عهد صالح والحسابات السياسية شكلا مخطط الجماعة للانقضاض على مؤسسات الدولة

لم تخلف الحرب اليمنية منذ اندلاعها بعد ست سنوات من سيطرة جماعة الحوثي على صنعاء بينما كانت الثورة قائمة على نظام الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، وانتقالها على الشرعية، إلا حصادا أسود كان بسبب تراكمات قديمة غذتها احتجاجات 2011، أوصلت المكونات السياسية اليوم إلى حالة تشاؤم مع تلاشي أي بوادر فعلية لحل الأزمة عبر القنوات الدبلوماسية ووفق التفاهات بين الحكومة المعترف بها دوليا والانقلابيين برعاية إقليمية ودولية.



صالح البيهثاني  
صحافي يمني

عدن - احتفل الحوثيون في الحادي والعشرين من سبتمبر الجاري بمرور ست سنوات على ما دأبوا على وصفه بـ"الثورة"، التي أوصلتهم إلى السيطرة على مؤسسات الدولة اليمنية في 2014، في الوقت الذي أحيا فيه المناهضون للانقلاب الحوثي ما أطلقوا عليه "يوم النكبة".

وكما هو الحال مع كل عام يستذكر فيه اليمنيون تفاصيل وملايسات اجتياح الميليشيات الحوثية لصنعاء، تجدد الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام المحلية بين أنصار الرئيس الراحل علي عبدالله صالح والأحزاب اليسارية والقومية، التي ساهمت في إسقاط نظامه، حول الطرف الذي يتحمل المسؤولية في وصول جحافل الحوثيين من صنعاء إلى دار الرئاسة في العاصمة من دون أي مواجهة تذكر.

## حرب عبثية

بدأت أولى ملامح تحويل الصراع بين الدولة اليمنية والحوثيين إلى مادة للتوظيف السياسي في الصراع المواري، الذي كان مستعرا بين صالح وأحزاب المعارضة، التي تكثفت في تجمع سياسي أطلقت عليه "اللقاء المشترك" والمتشكك قبل اندلاع حروب صنعاء بعام واحد، وتحول إلى أداة أزيقت النظام السابق في 2006 بعد أن دعمت مرشحا رئاسيا في مواجهة مرشح المؤتمر الشعبي العام.

وتحول التوافق الجزئي بين أحزاب المعارضة حول مشروعية حروب صنعاء التي بدأت في العام 2004 إلى مادة للنزاع السياسي مع ارتفاع حدة الخلافات بين حزب المؤتمر الحاكم وأحزاب "اللقاء المشترك"، والتي بلغت ذروتها على وقع الانتخابات الرئاسية، حيث دعمت فيها أحزاب المعارضة المرشح فيحصل بن شمال في مواجهة الرئيس صالح.

وفي هذه الفترة المحتدمة في المشهد السياسي تسلسل مصطلح "الحرب العبثية" إلى مفردات الخطاب السياسي، التي بدأت تستخدمها صحف المعارضة في وصف الحرب الدائرة بين الجيش والمليشيات الحوثية، التي خسرت مؤسستها في حرب صنعاء الأولى في 2004 وشارفت على النهاية في الحرب الثانية عام 2005 قبل أن تجد طوق نجاة في الصراعات السياسية بين حزب المؤتمر وأحزاب المعارضة التي تزامنت مع اندلاع حرب صنعاء الثالثة، التي امتدت حتى 2006.

## استغلال الجماعة

## لاحتجاجات 2011 ضد

## الرئيس الراحل صالح

## شكل أكبر اختراق سياسي

## للنظام القائم آنذاك

وانقسم الخطاب الإعلامي لأحزاب "اللقاء المشترك" في تلك الفترة ما بين من يرى أن حروب صنعاء ظالمة تستهدف مكونا يمينيا وهو الأمر الذي دأبت عليه الأحزاب ذات الخلفيات الفكرية اليمينية المنتقدة عن الفكر الإيماني في اليمن، الذي ينتمي إليه الحوثيون مثل حزب الحق واتحاد القوى الشعبية وحتى الأحزاب اليسارية مثل الحزب الاشتراكي.

وفي خضم ذلك فضل قسم آخر من أحزاب المعارضة المضوية تحت "اللقاء المشترك" وصف حروب صنعاء بـ"الحروب العبثية" واتهام صالح بعدم الجدية في حسمها أو استخدامها كأداة لايتزان المكونات السياسية المعارضة بان البديل له سيكون الحوثي.

وفي كل الأحوال فقد شكلت الوساطات، التي لعبتها بعض القوى الاجتماعية والسياسية في إيقاف حروب

صعدة منعطفات حاسمة مع توظيف أحزاب المعارضة لملف النزاع مع الحوثي في إضعاف نظام صالح، إضافة إلى بروز الخلافات الداخلية في بنية النظام والرجل النافذ علي محسن الأحمر قائد الفرقة الأولى مدرع آنذاك، الذي أشرف على ملف صعدة، أسبابا وجيهة في فشل الدولة اليمنية في حسم الصراع العسكري مع الحوثيين في الحروب الثلاث الأولى.

وتم توظيف كل تلك الأمور قبل أن يدخل عامل جديد أكثر خطورة وتأثيرا في منتصف الحرب الرابعة، التي اندلعت في يونيو 2007 وتمثل ذلك في الوساطة القطرية، التي تؤكد العديد من المعطيات أنها كانت حاسمة في إعادة الروح للمليشيات الحوثية ومساعدتها في استعادة عاقبتها من خلال الدعم المالي تحت ستار إعادة إعمار صعدة، الذي أطلقته الدوحة.

وإلى جانب ذلك ظهرت مساع لتفكيك البنية العسكرية والقبلية المعادية للحوثيين عبر المال القطري، وهو الأمر الذي تبينت نتائجه في النسخة الخامسة من الحرب في مطلع العام 2008 وغبرت موازين القوى لصالح الحوثيين إلى الأبد.

وعندما اندلعت الحرب السادسة بين الجيش والحوثيين كانت نتائج الوساطة القطرية، التي أعلن صالح عن فشلها، قد بلغت مرحلة يصعب عكس نتائجها، كما أن عام 2009 شهد وصول الصراع بين حزب المؤتمر الحاكم وأحزاب "اللقاء المشترك" المعارضة أسوأ مراحلها.

## قبلة حياة للحوثي

دفع هذا الأمر صالح لطلب المساعدة السعودية في الحرب، غير أن تداعيات الأزمة مع المعارضة ساهمت في تشتيت جهود الدولة، التي انهمكت في صراع سياسي انتهى مطلع 2011 إلى انضمام اليمن لقائمة الدول، التي شهدت احتجاجات شعبية (الربيع العربي) أصبحت فيها خارطة الاصطفافات أكثر تعقيدا بعد انضمام الحوثيين لها إلى جانب أحزاب اللقاء المشترك.

وقد اعتبر ذلك المنحى أكبر اختراق سياسي حوثي منذ تأسيس الجماعة، التي عانت من العزلة السياسية والاجتماعية قبل أن يتم الاعتراف بها طرفا جديدا يطالب بإسقاط النظام من قلب العاصمة صنعاء.

ومثلت قبلة الحياة التي منحتها أحزاب "اللقاء المشترك" للحوثيين بداية مرحلة جديدة في مسيرة الجماعة، التي ظهرت شعاراتها في صنعاء بشكل علني، بعد أن كانت جريمة يعاقب عليها القانون، وتلا ذلك مشاركة الحوثيين في مؤتمر الحوار الوطني في العام 2013 بعد أن قدمت الحكومة آنذاك اعترافا رسميا لهم عن الحروب الست.

واتفق كثيرون على أن ذلك المنعطف اعتبر نكبة في الرئيس علي عبدالله صالح وحزبه الذي تصدر الحرب ضد الحوثيين بصفته رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة قبل إجباره على التخلي عن السلطة بموجب المبادرة الخليجية.

وساهم تحريض الخطاب الإعلامي لأحزاب اللقاء المشترك، التي هيمنت على مقاليد الدولة بعد إسقاط نظام الرئيس صالح، ومحاولة إظهاره كطرف وحيد مسؤول عن الحرب ضد الحوثيين في دفعه لمحاولة فتح قنوات مع الميليشيات، التي باتت موجودة سياسيا وشعبيا في صنعاء.

وبزرت تصريحات عديدة لقادة المعارضة تشيد بالحوثيين كطرف سياسي أصيل تعرض للإقصاء خلال فترة حكم علي عبدالله صالح، كما علق القيادي البارز في حزب الإصلاح حميد الأحمر في مقابلة تلفزيونية على إكمال الحوثيين سيطرتهم على محافظة صعدة أثناء الاحتجاجات الشعبية في 2011 بأنه عمل "ثوري يندرج في إطار إسقاط نظام صالح، وبمناخ عودة صعدة إلى أحضان الوطن بحسب وصفه".



حصاد أسود في ذكرى الانقلاب على الشرعية

## وكالات الإغاثة الأممية تدخل غرفة الإنعاش

أصل 45 برنامجا إنسانيا رئيسيا، فيما قد يلقى 30 برنامجا نفس المصير خلال أسابيع مقبلة ما لم يتم تلقي تمويل إضافي، حيث تلقت الأمم المتحدة مليار دولار من أصل 3.2 مليار دولار مطلوبة لتقديم مساعدات إلى اليمن خلال العام الجاري.

وكانت هيئات دولية مانحة قد هدت مرارا بوقف المساعدات الإنسانية في اليمن ما لم يقوم المتمردون الحوثيون بسلوكهم. ومن شأن تنفيذ ذلك الوعد أن ينعكس بشكل مباشر على الحوثيين الذين لن يكون بإمكانهم تعويض تلك المساعدات، الأمر الذي سيعمق الأزمة الإنسانية في المناطق الخاضعة لسيارتهم ويكرس حالة الغضب الشعبي ضدهم.

واضطرت الوكالات الأممية، خلال الفترة بين إبريل وأغسطس الماضيين، إلى تقليص توزيع المواد الغذائية والمساعدات الصحية في أكثر من 300 مرفق صحي باليمن بعد أن اشتكت من نقص حاد في تمويل خطة الاستجابة الإنسانية في اليمن، وتطالب المانحين بالتدخل العاجل لإغاثة الملايين من السكان.

ومنذ ستة أعوام يشهد اليمن حربا عنيفة بين القوات الحكومية وجماعة الحوثي، أدت إلى إحدى أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم، وبت 80 في المئة من السكان بحاجة إلى مساعدات، ودفع الصراع الملايين إلى حافة المجاعة.

ويبدو أن تقديم المساعدات سوف يتأخر في الأراضي الفلسطينية أيضا؛ فقد أكد المستشار الإعلامي لاونروا عدنان أبو حسنة للإذاعة الفلسطينية الرسمية أن الوكالة تواجه عجزا بقيمة مئتي مليون دولار لتغطية برامجها الإنسانية حتى نهاية العام الجاري. وتواجه أونورا أخطر أزمة مالية وربما لن تستطيع دفع رواتب موظفيها الشهر المقبل مع عدم إمكانية استمرار برامجها الإنسانية في كافة مناطق عملياتها الخمس، التي تشمل المخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة ولبنان وسوريا والأردن، وقد دخل المسؤولون فيها في سباق مع الزمن من خلال إجراء اتصالات مكثفة مع عدد من الدول المانحة لتوضيح خطورة الأوضاع المالية للوكالة.

نيويورك - يكشف تجديد وكالات الإغاثة الأممية تهديدها بوقف المساعدات الإنسانية كلياً في عدة مناطق من العالم تشهد كوارث إنسانية عن جزء بسيط فقط بشأن التحديات، التي تواجهها بسبب نقص التمويلات المخصصة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لاستكمال أنشطتها.

ويعني إعلان الأمم المتحدة الأربعاء عن تعليق مجموعة من برامج المساعدات الإنسانية في اليمن وأن جميع برامج وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (اونروا) مهددة بالتوقف بفعل العجز المالي في ميزانياتها عن الهيئات الدولية المانحة دخلت فعليا إلى "غرفة الإنعاش".

ولئن كان سياسات الدول الأعضاء دور بارز في تراجع الدعم المالي للأمم المتحدة، فإن تأثيرات تباطؤ النمو الاقتصادي العالمي ومكافحة فيروس كورونا يبدو أنها أحد الأسباب التي جعلت من الوكالات الأممية الكوارث الطبيعية، التي ضربت دولاً مؤخرًا من أبرزها السودان.

وتقول منسقة الشؤون الإنسانية في اليمن لين غراندني إنه تم إغلاق 15 من

الوكالات الأممية، ووضعت الوكالات الأممية، خلال الفترة بين إبريل وأغسطس الماضيين، إلى تقليص توزيع المواد الغذائية والمساعدات الصحية في أكثر من 300 مرفق صحي باليمن بعد أن اشتكت من نقص حاد في تمويل خطة الاستجابة الإنسانية في اليمن، وتطالب المانحين بالتدخل العاجل لإغاثة الملايين من السكان.

ومنذ ستة أعوام يشهد اليمن حربا عنيفة بين القوات الحكومية وجماعة الحوثي، أدت إلى إحدى أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم، وبت 80 في المئة من السكان بحاجة إلى مساعدات، ودفع الصراع الملايين إلى حافة المجاعة.

لوقف زحفهم في عمران من خلال دعم مقاومة قبيلة حاشد، التي قادها ال الأحمر أو إسناد اللواء حميد القشبي، الذي تصدى للحوثيين في معسكره وقتل بطريقة بشعة كما كشفت التقارير المسربة عن مقتله.

ولكن كل محاولات إيقاف الحوثي في عمران لم يتم إسنادها من قبل الجيش، الذي كان ياتمر في ذلك الحين بأمر هادي بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ووزير الدفاع محمد ناصر أحمد، الذي ينحدر من محافظة الرئيس نفسها (أبين)، وهو القائد العسكري، الذي تورط الكثير من علامات الاستفهام حول دوره الذي سهل سيطرة الحوثيين على عمران بعد ظهوره برقعة القائد الحوثي أبو علي الحاكم.

## سقوط اللواء 310 مدرع في محافظة عمران سنة 2014 بيد الحوثيين مهد لدخولهم صنعاء دون مقاومة تذكر

ويتهم الكثير من ناشطي حزب الإصلاح (وهم إخوان مسلمون) صالح في كل مرة بدور الحديث عن الانقلاب الحوثي بتسليم معسكرات الجيش للجماعة، بينما يعتبر أنصار الرئيس الراحل، الذي قتلته الميليشيات الحوثية في ديسمبر 2017 أن صالح لم يكن يمتلك أي صفة رسمية بعد مغادرته السلطة.

كما أن الجيش اليمني تعرض في العام 2012 لعملية عرفت بـ"إعادة الهيكلة" تم خلالها إقالة كل القيادات العسكرية المقرية من صالح بما في ذلك أقرابه وتعيين آخرين مواليين للرئيس هادي وزير دفاعه آنذاك، والذي أشرف مباشرة على عملية الهيكلة وتم تكريمه من قبل "تنسيقية شباب الثورة" بدرع نظير جهوده في إعادة هيكلة الجيش وإضعاف سيطرة صالح.

وتبدو هذه العملية التي وصفها أنصار صالح بتفكيك الجيش أحد عناصر التعقيد في المشهد اليمني، هي التي سهلت للحوثيين اجتياح صنعاء، حيث أضعفت هذه العملية من سيطرة الرئيس الراحل بالفعل على مؤسسات الجيش والأمن، غير أن هذه التغييرات لم تسمح للرئيس الجديد ووزير دفاعه بالسيطرة على هذه المؤسسات بشكل حقيقي وفعال.

وخلف ذلك فجوة كبيرة بين وحدات الجيش وقيادته سمحت للحوثيين بالتسلل من خلالها إلى مفاصل الدولة وتنفيذ الانقلاب مستفيدة من الركاب الهائل من الأحقاد بين صالح وحزب المؤتمر الشعبي العام من جهة، وأحزاب "اللقاء المشترك" من جهة أخرى، والتاريخ الطويل من التوظيف السياسي لملف صعدة.

كما رد صادق الأحمر شيخ قبيلة حاشد كلاما مشابها لما قاله شقيقه في حوار مع قناة الجزيرة وصف فيه الحوثيين بـ"المضطهدين الذين تعرضوا للظلم في فترة حكم صالح"، كما اعترف عن مشاركة قبيلته في الحروب ضد الحوثيين واعتبر ذلك نتيجة للتضليل الذي مارسه صالح.

وأظهرت تسجيلات مسربة مباركة صالح خلال تلك الفترة لعملية إذلال آل الأحمر من قبل الحوثيين انتقاما من مواقفهم تجاهه في 2011 وورهم الرئيسي في تاجيح الاحتجاجات المناهضة له، إضافة إلى الاتهامات التي تدور حول تورطهم في محاولة اغتياله في حادث تفجير دار الرئاسة الشهير قبل عشر سنوات.

وتؤكد المعلومات أن صالح أصيب بالهلع بعد تقدم الحوثيين نحو مركز محافظة عمران بعد أن ظن أن الزحف الحوثي سيقتصر على السيطرة على معقل آل الأحمر، حيث أرسل وفدا من قيادته لزيارة الرئيس عبدربه منصور هادي، الذي تولى السلطة في 2012، وتحذيره من أن سيطرة الحوثيين على محافظة عمران يعني سقوط صنعاء.

غير أن مقربين من هادي أفتعوه، بحسب المصادر المطلعة، من أن صالح يريد الزج به في صراع مع الميليشيات الحوثية، وهو ما أعقبه قيام الرئيس هادي بزيارة شهرية إلى مركز محافظة عمران بعد سيطرة الحوثيين عليها وإسقاط أكبر معسكراتها، اللواء 310 مدرع، وقتل قائده حميد القشبي في يوليو 2014، وظهر على القناة الرسمية اليمنية متحدئا من عمران بأن "المحافظة عادت إلى أحضان الجمهورية".

## هيكلة أم تفكيك

تشير مصادر عديدة إلى أن صالح سعى بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء إلى فتح قنوات اتصال معهم، بعد أن ساوره ما يشبه اليقين أن اجتياح العاصمة بات مسألة وقت فقط، وهو ما حدث فعلا بعد ذلك بأشهر حين دخلت ميليشيات الجماعة العاصمة في 21 سبتمبر 2014 وأحكمت سيطرتها على مؤسسات الدولة ومعسكرات الجيش، التي انهارت دون مقاومة تذكر. وهنا تدور الكثير من التكهات حول سبب هذه الانهزامية، التي واجه بها الجيش الميليشيات الحوثية.

وترجع المعطيات فشل هادي في التحكم بالجيش، الذي رفض المواجهة بعد أن أصبح الحوثيون على بوابة صنعاء، في حين كانت الفرصة متاحة